ولأبي العتاهية مراثٍ للرّسول ﷺ تبدو لنا شيئا فريداً في عصره ، ولرثاء الرّسول ﷺ بعد مُضيٍّ نحو قرنين على وفاته دلالةٌ خاصّة ؛ لأننا نرى الشّاعر فيها يَسْتحضر شخصيّة الرّسول ﷺ كما لو كان قد مات لِتوّه ، ونُحِسُّ في هذه المراثي حُبًّا وإخلاصاً بَعيدَيْن عن التّكلُّف ، ولعلّ هذا الشّعر يُغَيِّر ما يَكادُ يَتّفِق عليه دارسو أبي العتاهية من أمْر زَنْدَقَته . ولنتأمّلْ هذه القطعة :[1]

سلامٌ على قَبْرِ النبيِّ مُحَمَّدٍ ... نَبِيِّ الهُدَى والمصطفى والمُؤَيَّدِ
نَبِيٌّ هَدَانا اللهُ بَعْدَ ضَلالَةٍ ... به لم نَكُنْ لولا هُدَاهُ لِنَهْتَدي
فكانَ رسولُ اللهِ مِفْتاحَ رَحْمَةٍ ... مِنَ اللهِ أَهْدَاها لكُلِّ مُوَحِّدِ
وكانَ رسولُ الله أَفْضَلَ مَنْ مَشَى ... على الأَرْض إلا أَنَّهُ لم يُخَلَّدِ
شَهِدْتُ على أَنْ لا نُبُوَّةَ بَعْدَهُ ... وأَنْ لَيْسَ حَيٌّ بَعْدَهُ بِمُخلَّدِ

ويقول في قطعة أخرى تبدو ثمرةً لوقوفه على المشاهِد النّبويّة في الحَرَمَيْن:[2]

لِيَبْكِ رسولَ اللّهِ مَنْ كانَ باكِيا ... ولا تَنْسَ قبراً بالمدينةِ ثاويا
جَزَى اللهُ عنّا كُلَّ خَيْرٍ مُحَمّداً ... فقد كانَ مَهْدِيا دليلاً وهادِيا
ولَنْ تسرِيَ الذِّكْرَى بما هُوَ أَهْلُهُ ... إذا كُنْتَ لِلْبِرِّ المُطَهَّرِ ناسِيا
أَ تَنْسَى رسولَ الله أَفْضَلَ مَنْ مَشَى ... وآثارُهُ بالمَسْجِدَيْن كما هِيا
تَكَدَّرَ من بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... عليه سلامُ اللهِ ما كانَ صَافِيا

القاسِم بن يُوسُف :

القاسم بن يوسُف الكوفي هو أخو الكاتب المشهور أحمد بن يوسُف ، أحد أعلام كتّاب الرّسائل في عصر المأمون ، وكان أسَنَّ من أخيه . ويقول الصُّولي

(١) أبو العَتاهِيَة : أشعاره وأخباره ص ١١٦ ، عن شعر الدّعْوة ، ج ٣ ، ص ٥٦ .

(٢) ثَوى بالمكان وفيه : أقام ، وثاوِيًا : واقفاً ، أبو العَتاهِيَة ، ص ٤٣٣ ، عن شعر الدعوة ، ج ٣ ، ص ٥٧ .